رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق شهري
يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

4 صفحات

العدد (1332) الخميس (25) 2008

كي لاننسى خلف الدواح 10
ابو كاطع اسطورة الصحافة العراقية 11
عودة الروح للادب العراقي الساخر 12

شمران الياسري ظاهرة إبداعية

د . عبد الإله الصائغ

حال أولئك الذين حاولوا استنساخ تجربة شمران الياسري يدعو إلى الرثاء حقا! فهذا المبدع الجماهيري وإن كان مدرسة يمكنها أن تخرج عشرات المبدعين الملتصقين بالصدق قبل النجومية، ولكنه عصي على الاستنساخ! فمن تأدب بأدبه استطاع أن يتكون وأن ينمو ولكن الذي أراد سرقة تجربته صار مدعاة للشفقة قبل السخرية! فلم تكن جاذبية النص الروائي عند الياسري بسبب من لغتها الشعبية وهمومها الطبقية كما يتهيأ لبعض الدارسين! بل إن الجاذبية عائدة إلى موهبة فسيحة ودربة صبورة لا تعرف الكلل والملل! ورؤية صافية للمساحة المشابهة!. في رباعيته كان رائدا بامتياز في تطويع القهر الطبقي للعمل الروائي الصعب! فليس كل مناضل قادرا أن يكون شمران ولا كل رواية قادرة على أن تمثل الرباعية! ومن هنا أضاع المقلدون شطرا مهما من تجربتهم وعمرهم في ملاحقة المستحيل! ولهذا المحور شجون يمكن العودة إليها في مناسبة أخرى!.

قراءة وصفية لرباعية شمران الياسري

نحن هنا بصدد قراءة الرباعية قراءة وصفية (بنيوية) بهدف إضاءة بنيات العمل الروائي! في الرباعية ثمة أبطال شعبيون كتبت عليهم مصارعة القهر السياسي وقيادة أحلام الجماهير الفقيرة نحو الشمس فالروائي شمران الياسري ومن خلال روايته المهمة التي لخصت تاريخ العراق الدموي استطاع إشراك القارئ مع أبطال الرواية ليشهد صراعاً بين الجماهير الحالمة والقلة الظالمة.. روايته التي صدرت عام ١٩٧٢م بأربعة أجزاء هي ١/ الزناد (القداحة) ٢/ بلابوش دنيا (تعساً للدنيا) ٣/ غنم الشيوخ ٤/ فلوس حميد.. وقد شاء شمران الياسري أن يختار للصراع فترة مهمة من تاريخ العراق فبدأت روايته بعد ثورة العشرين (التي فجّرتها جماهير الفرات الأوسط فانتشر أوارها في ربوع العراق كافة..) بثلاثة أعوام ثم انتهت أحداثها بعد أحداث ١٤ تموز ١٩٥٨م فاختار الروائي ثلاثة أجيال غطت هذه الحقبة، خمسة وثلاثين عاماً مصوراً أثر التطور الحضاري في تطور مفهوم الصراع عند هذه الأجيال، فالجيل الأول ورث التقاليد الصحراوية والبدوية والتقاليد الزراعية الريفية على حد سواء فكان نهشاً للعصبيات القبلية والمكانية فتأصلت لأسباب مغايرة فكرة البطولة والمروءة والكرم في حياته القاسية، برغم إن الاستغلال كان رضيعاً ولم يتبين هذا الجيل أثره بسبب سلطة القبيلة التي خففت كثيراً من سلطة الاستغلال الإقطاعي أو الرأسمالي، وسعدون المهلهل وهو الزعيم مثلاً كان يتصرف كواحد من أفراد القبيلة!! وحين خضع العراق للاحتلال الإنجليزي بعد معارك النجف والرميثة والسماوة وقرية السادة (آل بو أذبحك) في الحلة والرارنجية في الأعوام ١٩٢٠/١٩/١٨/١٧ اجتهدت المخابرات البريطانية للّي الذراع القوية التي بطشت بالعسكر الإنجليز ومرتزقتهم من الهنود السيخ والزنوج العمالقة وهذه الذراع هي شيوخ القبائل فعقدت معهم صفقات دنيئة لتغدق عليهم الأموال بلا حساب فضلاً عن تزويدهم بالمضخات والأسمدة والبذور، وهكذا حولت هذه المستجدات الزعيم الطيب سعدون إلى رجل آخر لا يشبهه، فبعد أن كان هذا الزعيم يعتمد على اشتراطات القبيلة والوطن صار يعتمد على اشتراطات العمالة والربح! ثم يجيء دور الصبي فالح ابن الزعيم سعدون بن مهلهل ليجيء زمان أكثر عتمة وقهراً ومكراً.. فهذا المراهق الغرّ وجد نفسه وسط فائض من الأموال فأحاط نفسه وملأ جلعته (قلعته) بالأزلام الذين يحذقون الدعارة فإذا الناس تترحم على الأب مع معرفتهم بظلمه وخيانته لقبيلته ودينه الذي كان يتظاهر به.. بيد أن الأب الظالم كان الأرحم من ابنه الغر المغرور.. فتمر السنون ثقالاً فيظهر على سطح الرواية (ضاري) ابن فالح سيئ الصيت وحفيد الزعيم سعدون وضاري من الجيل الثالث.. فتهيأ للقهر والمجون ليستعين بأزلام أبيه وجده المخضرمين في فنون الغواية وإذلال الناس لسبب أو دونه، لكن ما حدث يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م كان الزلزال المدمر الذي حاق به وبأزلامه وبطانته وتجمع الناس حول المذياع ليستمعوا إلى صدور قانون الإصلاح الزراعي الذي وعد الناس بزمن أخضر! وبالمقابل ثمة البطل حسين ابن العشيرة.. ذلك المؤمن بقيم ثورة العشرين فهو يتذكر أمجادها وبطولاتها ويحفظ عن ظهر قلب أشعار الثوار العشرينيين في مضافة الزعيم سعدون بن مهلهل، بل انه شاعر العشيرة (المهوال) وحامل همومها وتقتضي بؤرة الصراع في الرواية أن يرتطم حسين بزعيمه سعدون بعد مقابلة هذا الزعيم المستشار الإنجليزي! ولأن الغلبة للقوي فقد طلب سعدون إلى حسين المتمرّد بـ(الجلوة) أي الجلاء عن مكان قبيلته إلى مكان آخر بعيد.. فاستجاب خوفاً على حلمه الثوري من أن يغتاله سعدون. وقد التحق به خلف وأبناء صكر هؤلاء الفتيان المعجبون بحسين والمتضامنون معه برغم إن سعدون لم يطلب إليهم الجلاء! وقد استدعى الصراع بين حسين وسعدون إضافة عنصر جديد وهو المرأة الفاتنة ليكون الصراع أكثر تماسكاً وجذباً.. وكان الزعيم قد وعد حسين (وعد شرف!!) أن يزوج ابنته الجميلة (حسنة) من ناصر (ابن حسين)، ولكن وضع الزعيم الجديد الخاضع لتوجيهات المستشار الإنجليزي وتقاطع هذا الوضع مع تحديات حسين جعله ينكث وعده ولن يرقّ قلبه لمشاعر ناصر الشاب البريء الوديع ولا لدموع ابنته حسنة التي اكتشف إنها مغرمة بحبه حتى استعدادها للتضحية بحياتها من أجله! فيقرر حسم الموقف ويلهمه غضبه الملتهب فكرة بشعة وهي أن يزوج ابنته حسنة (هذه الصغيرة التي مرضت وباتت حياتها مهددة بسبب موقف أبيها) لشعيب ابن زعيم القبيلة المجاورة ويدعى صلّال! وربما زاد من عنجهية سعدون وقسوته على ابنته الصغيرة العاشقة ما سمعه من الوشاة: أن ابنته حسنة وحبيبها ناصر قد أقسما على الوفاء حتى لو كان الثمن حياة كل منهما.. وأنهما حين يئسا من رحمة سعدون ارتبطا بعلاقة غير مشروعة!! وهذا ما حصل فعلاً والذي لم يكن قد سمع به سعدون هو أن ابنته حسنة أمضت الليلة التي سبقت ليلة زفافها إلى شعيب.. أمضتها بطولها على فراش حبيبها ناصر وهذا يعني إن الحبيبين ناصر وحسنة قد عالجا الخطأ بالخطأ والجريمة بالجريمة وهي إشارة حاذقة من شمران الياسري مؤداها إن الصراع الحتمي بين الخير (الذي رمز إليه بحسنة وناصر) والشر (الذي رمز إليه بشعيب وسعدون) لا ينبغي أن يدفع الخير إلى استعارة أسلحة الشر مهما كانت الأسباب!! ولم يقف ناصر عند نقطة (كسر التابو) فوقف في وجه الزعيم سعدون وأولاده وأزلامه وحرَّض الفلاحين والمعوزين والمقهورين ضد أطماعهم وجشعهم.. ولم تكن نقلته من الريف (النقي) إلى المدينة (الملوثة) أمراً عابراً وسهلاً.. فالمدينة عهد ذاك كانت تغلي كأنها على فوهة بركان! فيشتغل ناصر عاملاً في شركة نفط كركوك ويتلقى من رفاقه ثقافة سياسية جديدة لا عهد له بها من قبل ويتفاعل مع هذه الثقافة ويحبها ويستزيد منها!! فإذا حدثت انتفاضة (كاورباغي) أسهم فيها إلى جانب الجماهير الغاضبة.. فاستشهد مع من استشهد من رفاقه وأصدقائه.. وينبثق من هنا دور أخ الشهيد ناصر واسمه (الملا نعمة).. وهذا الملا كان ناقماً على الوضع المتردي للقرية.. ناقماً على المسؤولين عن عذابها من الزعماء والعملاء والغوغاء فيضطر بعد أن أيقن أن الخطر بات يهدد حياته لمغادرة القرية إلى المدينة! وثمة دور آخر مستجد لفاضل وكامل ابني ناصر وهما يمثلان الجيل الثالث! كامل اشتغل عاملاً في مطبعة وفاضل معلماً في مدرسة ومع مجيء ثورة تموز ١٩٥٨م وقف الثلاثة إلى جانبها وأسهموا في تعزيز انتصارها!! فضلاً عن الأبطال السلبيين الذين تموضعوا في خندق جماعة سعدون.. مثل أحميّد أبو البينة.. هذا البطل السلبي المحتقر من قبل رجال القبيلة ونسائها وأطفالها فالقرية تعرف جبنه منذ أن دارت معركة بين آل مهلهل وآل صلال..وتعرف أيضا بخله الذي بات مضرب المثل فإذا جاء دور ابنه صالح ليعمل راعي غنم للشيخ بانت الصفتان الذميمتان اللتان ورثهما عن أبيه.. فالثابت أن صالح استغل رعب الشيخ من الخطاب السياسي لثورة تموز ١٩٥٨ فتظاهر بالحرص على غنم الشيخ.. وأخذها منه ليرعاها ويحميها ويبعدها عن أعين الثوّار والحسّاد!! فوثق به الشيخ في لحظة ضعفه ورعبه.. وحين أيقن صالح إن زمان الشيوخ قد ولى وأن الثوار يقبضون على الوضع الداخلي بيد من حديد.. قرر استغلال الموقف ليعبّر عن انتهازيته ودناءته المتأصلتين في دمه.. فيبيع الغنم بثمن باهظ لم يحلم به من قبل ثم يهرب بعيداً بأحلامه الصفراء: شراء بيت فخم وسيارة فارهة آخر موديل وشراء زوجة جميلة جداً!! لكنه يفاجأ بالواقع المرّ الذي يشظّي أحلامه حين تأيد له أن الدولة استبدلت النقود القديمة بنقود جديدة فما عادت لنقوده قيمة إطلاقا وهكذا يتفرط عنه المنتفعون الذين حلموا معه بالثراء والجاه والمتع!! الرواية كما مرّ بنا مبنية على معالم الصراع فاضطر الروائي شمران الياسري إلى جعلها طويلة إذ زادت على ستمائة صفحة فاستعان باسترجاع عدد من السنوات المشحونة بذكريات الجهاد ضد الأجنبي في معركة مايس ١٩٤١ التي دارت بين الثوار بقيادة العقداء الخمسة والإنجليز في مدينة (سن الذبان) ومعركة ١٩٤٨ التي دخل فيها الجيش العراقي أرض فلسطين ثم معركة ١٩٥٦ التي انتصر فيها الشعب المصري على أساطيل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وانعكست على الشعب العراقي الذي ساند أشقاءه في مصر فتلقّى أبناؤه رصاص شرطة نوري السعيد.

لقد أهدى شمران الياسري لمكتبة الرواية العربية (والعراقية بخاصة) رواية ذات أبعاد فنية متماسكة وهموم أيديولوجية واجتماعية مركزية، فأنت أمام أجيال من الأبطال تنمو بشكل تلقائي جسدياً وروحياً واجتماعياً دون ان تستشعر ثقل الزمن ووطأة طول الرواية! وإذا كان من مزية لعنصر الصراع في هذه الرواية الشاسعة فهي أن الصراع نابع من الحياة التي نشأ فيها الروائي، وأن هموم هذا الصراع ليست هموماً خاصة، بل هي هموم المتلقي فضلاً عن إن الصراع كان بطل الرواية، أو المحرِّك الذي ولّد شحناتها الجمالية والأيديولوجية! وإنما يلاحظ الدارس أن الروائي المبدع شمران الياسري قد أثقل الرواية بمحاولته الصابرة في نقل التفاصيل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية بأقصى درجات الدقة فلم تفت روايته شاردة أو واردة كما أثقلها في زعمنا بثقل الأفكار والقناعات التي يحملها أبطال روايته من الفلاحين البسطاء الذين ثاروا ضد الاستعمار الإنجليزي بسبب أن شيوخهم طلبوا منهم ذلك معزّزين بفتاوى علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية!! ومعلوم أن الروائي حذر دائما من إلباس أبطاله ثياباً أوسع من أجسامهم أو أضيق زد على ذلك أن الروائي شمران الياسري –دون قصد بالتأكيد– كرّس فكرة الشر الوراثي والخير الوراثي فالجد الذي قهر الفلاحين يورث ابنه كراهية الفلاحين، والابن يورث الحفيد وهي فكرة لا تصح دائماً، فقد تلد أسرة إقطاعية ثائراً دون إرادتها ورغبتها وقد تلد عائلة ثورية ابناً خائناً.. إن قدرية الخيانة على جيل من الأجداد والأبناء والأحفاد هو منزلق على أي حال! وما يتبقى لنا هو الأخذ بمبدأ لذة الخطاب السردي الروائي إذ لا يمكن القبول بفكرة خلو أية رواية من عنصر الفكرة! فالفكرة مكلفة بمسؤوليات كبرى داخل الرواية مما يتعيّن عليها انتقاء المكان والزمان والشخوص والحوار بحساسية جمالية عالية! والروائي الموهوب كدأب شمران الياسري لا يثقل الفكرة بجسد الرواية كما أنه لا يثقل الرواية بأعباء الفكرة! ثمة تماه محسوب وتلقائية حاذقة! والفكرة مهما كانت عظيمة وإنسانية لن تصنع رواية مقروءة وخالدة ما لم ترتكز على عنصر الإمتاع والإدهاش أو ما يسميه رولان بارت لذة النص! أما الزعم بأن الرواية ينبغي أن تكون صادقة أمينة وهي تنفذ الفكرة بتقنياتها الذاتية والمكتسبة (المقتبسة من مهارات الروايات الأخرى) فهو زعم لا يلجأ إليه سوى الروائيين ذوي المواهب الواهنة الضعيفة فلقد أسهمت رباعية شمران في تحبيب المكابدة الفنية بمكر فني! بعبارة ثانية إن الرواية نقلت الواقع الخشن بكل ثقله وعذاباته إلى الواقع المتخيل! بعبارة ثالثة إن الرباعية نقلت الوقائعية التاريخية والنضالية إلى الجمالية الفنية وبهكذا أسلوب يمكن ضمان جذب المتلقي إلى الهم الطبقي من خلال الخطاب الجمالي! ولقد برع شمران الياسري في منح البهجة وهو يمسك بعصا المايسترو لكي يصل إلى لحظة التسلطن وهو يواشج بين إيقاعين، إيقاع الفكرة وإيقاع الأسلوب دون إقحام أو تسلط! يقول الروائي غائب طعمة فرمان في مقدمة الجزء الأول من الرباعية في أسلوب شمران الياسري الروائي بمقربة من فكرة النص المبهج: عالم مجسد رحب معمور بأنفاس الريف وأناسه صنعه قلم ذو دراية ممتازة بما يريد أن يقول، وحب عارم للوسط الذي يصوره.. انه إنسان نابت في أرضه يعرف كل شبر منها عاليها وسافلها حلوها ومرها مذاق ثمارها وملوحة عرق الكادحين فيها! يتغنى بشفافية روح بشجاعة قلب وحكمة فطرية ومكتسبة بما يمثل الهيكل الإنساني لحياة ابن الريف .

من المحرر

ابو كاطع..ضمير شعب

ولد شمران الياسري عام ١٩٢٦في محافظة واسط، قضاء الحي، قرية « المحيرجة » سابقا، ناحية « الموفقية » حاليا. تتمتع أسرته بمكانة دينية خاصة في عموم المنطقة وأطرافها.

بدأ مشواره الصحفي قبل أن ينتمي الى الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٦، ففي عام ١٩٥٣ أصدر جريدة سرية أسمها – صوت الفلاح – مع أربعة فلاحين ومهندس زراعي، أما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فعمل في بغداد، في صحف: صوت الأحرار، البلاد، الحضارة، فضلا عن برنامجه الاذاعي الشهير « احجيها بصراحة يابو كاطع » الذي اجتذب ملايين المستمعين، وقال عنه وزير ثقافة كردستان « فلك الدين كاكه ئي « ان الكرد كانوا ينتظرونه كما ينتظره فلاحو الجنوب والوسط وأهل المدن. توقف هذا البرنامج عام ١٩٦٢ بعد اعتقال « ابو كاطع « لتوقيعه نداء السلم في كردستان. انتقل بين سجون بغداد و بعقوبة والعمارة، وبضربة حظ يطلق سراحه قبل يوم ٨ شباط ١٩٦٣ الأسود ليقصد الريف الشاسع ويختفي حتى ١٩٦٨. أصدر خلال تخفيه صحيفة – الحقائق – وهي اسبوعية لسان حال اللجنة المحلية للحزب الشيوعي العراقي في لواء الكوت. خلال هذه السنوات كان الحصان وسيلته للتنقل والتنظيم والبريد.

بعد ١٩٦٨، كتب في « التآخي « و « طريق الشعب « و « الفكر الجديد « وكان مديراً لتحرير مجلة « الثقافة الجديدة « واشتهر بعموده اليومي في طريق الشعب – بصراحة أبو كاطع – الذي دعا آلاف القراء الى قراءة الجريدة ليس من الصفحة الاولى كما هو معتاد بل من الصفحة التي يتصدرها عمود الصراحة. كان العمود مجساً وبارومترا، منه يعرف القارئ أحوال المطبخ السياسي العراقي، فكما كان أبو سعيد (عبد الجبار وهبي) رائداً من رواد العمود الصحفي في جريدة (اتحاد الشعب)، صار أبو كاطع – أيضاً – علماً في الكتابة الصحفية وينهل من المدرسة ذاتها.

أواسط السبعينيات، جرت محاولة لدعسه على طريق الكوت، لكنها فشلت، فأعدوا له تهمة تهريب السلاح بغية اعدامه، لكنه التجأ الى براغ عام ١٩٧٦ تحاشياً للأسوأ فقال عن نفسه أنا اول مهاجر في رحلة النفي التي بدأت بعد سنتين. كان آخر ممنوعاته مادة كتبها الى « طريق الشعب « قبل مغادرة بغداد.. تحدث فيها عن الظهر والظهيرة والظهير، والظهير هو الحليف.. و يقصد البعثيين زمن الجبهة الوطنية.. هذه الجبهة التي في مجالسه الخاصة يطلق عليها تسمية « الجبحة « أي العثرة والسقطة.

وهذه الرواية – الرباعية قال عنها الروائي الكبير غائب طعمه فرمان: « ربما لم يعرف الأدب العراقي الحديث كاتباً أوقف همه الأدبي والفكري والسياسي على الريف وقضية الفلاحين العراقيين مثلما أوقفه شمران الياسري، بما جبل عليه من صراحة وصدق وتفتح خيال، وبقدر ما أتاحت له طاقاته وأدواته الفنية

بعد سلسلة طويلة من الممنوعات التي غطت حياته طولاً وعرضاً، رفضت وزارة الاعلام طبع رباعيته أو تعضيدها فاتخذت « الثقافة الجديدة « عام ١٩٧٢ قراراً بنشر الرواية طالبة من راغبي اقتنائها تسديد ثمنها سلفاً، فتم لـ « أبو كاطع « ما أراد.. فبعث برسالة الى وزارة الاعلام، جاء فيها:

« انني أحمل اصدقائي بين يدي.. أصدقائي الذين عايشتهم ليالي الشتاء الطويلة، أحاورهم وأتخيلهم.. أبدل بعض ملامحهم، أضيف عبارة، أو أحذف لفظة، وفي نهاية المسيرة مع « الدفترين « (مخطوطة الرواية) توطدت علاقتي مع « حسين « بطل الرواية على نحو عجيب.. أناجيه وأناغيه، أحياناً أصغي الى أشعاره، وكأنني أسمع صوته، برغم مسافة السنين ». وهذه الرواية – الرباعية قال عنها الروائي الكبير غائب طعمه فرمان: « ربما لم يعرف الأدب العراقي الحديث كاتباً أوقف همه الأدبي والفكري والسياسي على الريف وقضية الفلاحين العراقيين مثلما أوقفه شمران الياسري، بما جبل عليه من صراحة وصدق وتفتح خيال، وبقدر ما أتاحت له طاقاته وأدواته الفنية ».

في ١٧ آب ١٩٨١ توفي الكاتب والصحفي الكبير أبو كاطع « شمران الياسري « في براغ بحادث سيارة وهو في طريقه لزيارة ابنه (جبران)، فووري جثمانه في مقبرة الشهداء ببيروت، وأطلقت الثورة الفلسطينية ٢١ اطلاقة، تحية وداع للرجل الذي قال عنه الفنان المبدع المعروف يوسف العاني « ظل شمران صديقاً حميماً مثل قالب الثلج في تموز ». ملحق عراقيون يحتفي بذكرى هذا المبدع الكبير ويقدم هذه التحية لابداعه الذي كان يمثل سجلاً لضمير هذا الشعب .

من كعود إلى خلف الدوّاح

صباح علي الشاهر

كنا ننتظر بفارغ الصبر مجيء شمران للكوت، قاصداً أم عابر سبيل، ومن يعرف المرحوم أبو كاطع جيداً يعرف كم هو لطيف المعشر، سريع البدهية. أبو جبران كتلة من النشاط والذكاء المتقد، ومستودع لا ينضب للنكات التي تلبس الحالة وتلبسها الحالة، وكأن هذه النكتة أو تلك، هذه الحكمة أو تلك، هذه الحكاية أو تلك قد فُصلّت لهذا المشهد أو هذا الموقع أو هذه الحالة. مع شمران الياسري ينسى المرء الزمن، أو أن الزمن يتوقف، وإذ ينطلق شمران بالحديث فإنه لا ينتهي. قطار شمران لا محطات له، يبطل الانتظار أن يكون انتظاراً عندما يتحدث شمران. حكاياته كحبات العنقود، ترتبط بعضها ببعض، وتستقل بعضها عن بعض. كنا قلة قليلة أولئك الذين يعرفون بمقدم أبو كاطع للكوت، وفي كل مرّة نكون أبخل من البخل، فلا نخبر أحداً بمقدمه حتى نعتصر برتقالته عصرا، وكان هو يتواطأ معنا، ويرضى بمكر أن يتخلف ويمكث معنا حتى ولو كان الأمر لا يقبل التأخير. الحديث مع شمران الياسري متعة ما بعدها متعة. هذا الكوتاوي الألمعي نفحة مضمخة بعطر واسطي لا مثيل له. ربطتني بشمران علاقة خاصة في نهاية الستينيات. كنا نلتقي في مجلة الثقافة الجديدة في الباب الشرقي، حيث كنت أتواعد أيضاً مع طيب الذكر الشهيد الرفيق الصديق محمد الخضري (أبو سلام). أعتقد أن شمران غطّى إضافة لمهماته موقع الأخ الصديق الشاعر ألفريد سمعان (أبو شروق) بعد سفره لسوريا، كان رئيس تحرير المجلة وقتها الدكتور صلاح خالص، قبل أن ينفصل عن المجلة ويؤسس مجلته الخاصة التي أسماها (الثقافة)، وبرغم كوني كنت ناشطاً في القسم الثقافي للثقافة الجديدة، فقد ظلت علاقتي بصلاح خالص متينة، ونشرت في مجلته عدداً من المقالات والقصص، منها على ما أتذكر قصة (إنه محجوب هذه المرّة!). كتبتها في إثر إعدام عبد الخالق محجوب سكرتير عام الحزب الشيوعي السوداني زمن نميري، وقتها كان الوضع في العراق ساخناً، والسلطة التي أتت بانقلاب أبيض أصبح لها أنياب قوية ومخالب حادة. كان أبو كاطع يقدم برنامجا إذاعيا من إذاعة بغداد، يذكرني ببرنامجه الذائع الصيت بعد ثورة الرابع عشر من تموز (حجاية أبو كاطع)، لكن هذا البرنامج لم يرتق إلى مستوى البرنامج السابق، وقد أبدل أبو كاطع شخصية كعود بشخصية خلف الدواح. لم تتحمل الديمقراطية الجديدة وقتها برنامج أبو كاطع برغم جماهيريته منقطعة النظير فألغته، وعاد أبو كاطع لقواعده سالماً.

لفترة ما اشتغل أبو كاطع محرراً في جريدة التآخي، لكن الحكيم الضاحك الناقل لحكمة الناس البسطاء الموروثة تأريخياً، فجّر قدراته على صفحات طريق الشعب، لقد قال لي مرّة الشاعر الشعبي المبدع شاكر السماوي، لقد عودنا أبوكاطع على قراءة الجريدة ليس من الصفحة الأولى كما هو معهود وإنما من الصفحة الأخيرة حيث عمود أبو كاطع اليومي، وفي الحق لم يكن أبو طلعت وحده الذي كان يقرأ الجريدة مبتدئاً بصفحتها الأخيرة وإنما يمكن القول بكثير من الإطمئنان أن عدد الذين يقرأون الجريدة إبتداءً من صفحتها الأخيرة كثير جداً.

من المفارقات غير المريحة لي شخصياً أن عمود أبو كاطع اليومي نُقل لأمر ما من الصفحة الأخيرة إلى أحدى الصفحات الداخلية، وقتها خرج العمود الذي كنت أكتبه مكان عمود أبو كاطع، وأتذكر أن عنوان مقال أبو كاطع في مكانه الجديد كان (صعدوك لو نزلوك؟!)، ولا أدري حتى هذه اللحظة هل كان هذا الأمر تصعيداً أم تنزيلاً، لكنني فيما بعد شعرت بأن شمران أصبح ثقلاً على هيئة تحرير الجريدة بسبب موقف الحلفاء منه، وبسبب نقده اللاذع الذي لم يعد بمقدور القادة تحمله. كثير من الأشخاص يطويهم الزمن، يصبحون نسياً منسيا. تطردهم الذاكرة أو يهربوا منها، لكن شخصية أبو كاطع من تلك الشخصيات النادرة التي تعلق بالذاكرة. يصبح إبداعه لازماً لمن أدمنه، ويصبح شخصه لازماً لمن تعرّف عليه وعرفه. هذه المرّة لم يأت أبو كاطع للكوت زائراً أو في مهمة حزبية، وإنما جاءها لأمر آخر. لقد فُجعت العائلة بفقد عميدها (عم شمران)، وقد قررت منظمة الحزب أن يمثلها في التعزية كل من الأخ فتاح طه (ممثل الحزب في الجبهة) والشهيد حميد ناصر الجلاوي وأنا، وعلى ما أتذكر الأخ محمد موزان. انحشرنا نحن الأربعة في سيارة أبو كاطع العجوز المتهالكة، لا أتذكر تحديداً هل كانت لادا أم مسكوفج، وبرغم أن المسافة بين الكوت ومشروع الدجيل حيث سينعقد مجلس العزاء على روح الفقيد ليست بالطويلة إلا أن سيارة أبو كاطع أبت إلا أن تقطع هذه المسافة بموقت أكثر بكثير مما يجب. كانت بين الفينة والأخرى (تتعزز) علينا فتتوقف فجأة، تماماً مثلما يفعل الحمار عندما يعاند ويرفض مواصلة المسير. فيّعقب أبو كاطع (يا بعد عيني حارة مثل راس الرفاق الروس، تحمه بسرعة مثل حركة التحرر الوطني!). في مجلس العزاء عرفت أن شخصية كعود لم تكن خيالية كما كنت أتصوّر. لقد كان كعود بشحمه ولحمه هناك، وقد تصّنع الغضب لأن شمران تخلّى عنه، وأبدله بخلف الدواح، أتذكر أن (أبو كاطع) ضحك ضحكته المعهودة وقال: يا كعود لقد اختلفت المرحلة، مرحلتك يرحمها الله، ونحن الآن في مرحلة أخرى، مرحلة خلف الدواح، ولا أدري هل كان شمران جاداً أم هازلاً في كلامه، وهنا لا بد من الانتباه إلى أن (أبو كاطع) كان غالباً يُغلّف كلامه بسخرية مُبطنه. البعض يتصور أن شمران في حديثه يخلط الجد بالهزل، لكنني أراه مثلما يراه الكثيرون الجاد الهازل، أو الهازل الجاد بامتياز، وما أجمل وأمتع هزله، وما أحدّ وأصدق جده! كنت أسمع عن (أبو فهد) الشخصية الفلاحية، كانت هذه الشخصية من كثرة ما سمعت عن بطولاتها أشبه ما تكون شخصية مختلقة أو أسطورية، ولم يكن يخطر ببالي أن ألتقيها هنا في بستان من بساتين مشروع الدجيل. بعد أن امتلأ المجلس بالمعزين التفت إليّ أبو كاطع، وقال: هناك شخص يريد رؤيتك، سألته: من هو؟

قال: شخص تسأل عنه كثيراً، وتود رؤيته، وهو يود رؤيتك أيضاً.

انسبنا من المجلس خلسه في اتجاه البساتين، وهناك إلتقيت بالفارس، خيّال الزرقة كما كانوا يسمونه، الكادر الفلاحي (أبو فهد)، وسيكون لنا حديث عن هذه الشخصية التي ملأت أخبارها في ستينيات القرن الماضي ريف واسط ونواحيها.